

المكتبة الخضراء للأطفال

DVD4ARAB

البلبل



DVD4ARAB

بقلم: عايد الفضيل

دار المعارف

المكتبة الخضرَاء للأطفال

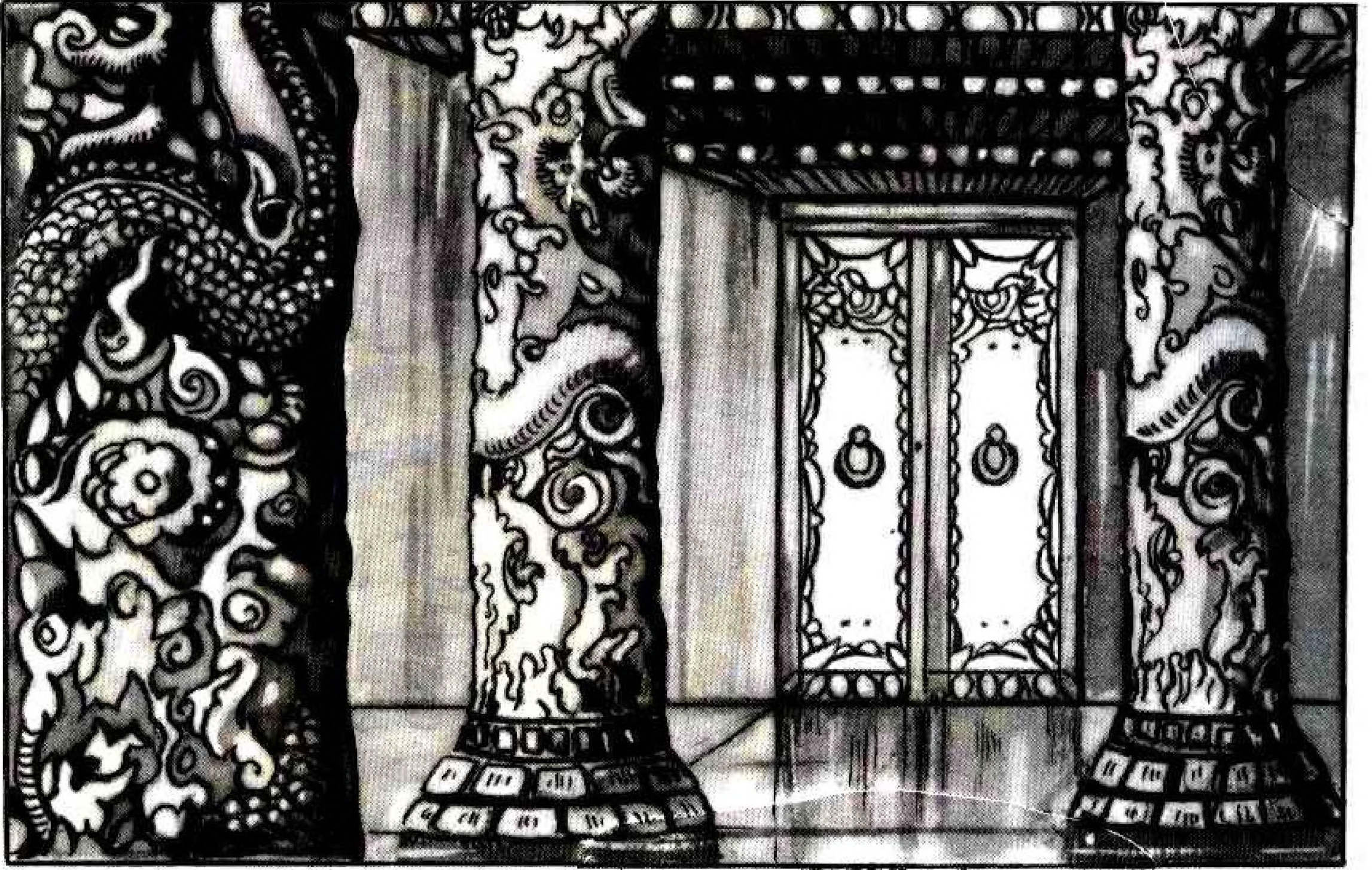
١٠



الطبعة الثامنة عشرة



بقلم: عادل الغضبان



حَكَمَ بِلَادَ الصِّينِ فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ مَلِكٌ كَرِيمٌ الْإِخْلَاقِ ،
طَيِّبُ الْقَلْبِ ، وَاسِعُ الْغِنَى .

وَكَانَ لِهَذَا الْمَلِكِ قَصْرٌ يُعَدُّ أَجْمَلَ الْقُصُورِ فِي الْعَالَمِ ،
فَقَدْ بُنِيَتْ أَرْضُهُ وَسُقُوفُهُ مِنَ الْبِلَورِ الشَّفَافِ ، وَشُيِّدَتْ حِيطَانُهُ
مِنَ الْخَزَفِ الصِّينِيِّ الْفَاخِرِ ، وَصُنِعَتْ أَبْوَابُهُ مِنْ سَبَائِكِ
الذَّهَبِ الْخَالِصِ .

وَكَانَ لِذَلِكَ الْقَصْرِ ، حَدِيقَةٌ وَاسِعَةٌ جَدًّا ، لَا يُدْرِكُ الْبَصَرُ
آخِرَهَا ، وَلَا يَعْرِفُ الْبُسْتَانِيُّونَ أَنْفُسَهُمْ أَيْنَ تَنْتَهِي ، وَكَانَتْ هِيَ
أَيْضًا تُعَدُّ أَجْمَلَ حَدَائِقِ الدُّنْيَا ، وَأَبْدَعَهَا تَنْسِيقًا ، وَأَغْنَاهَا
بِالْأَزْهَارِ الْمُخْتَلِفَةِ الْأَصْنَافِ وَالْأَلْوَانِ .

وَكَانَتْ تِلْكَ الْحَدِيقَةُ مُزْدَانَةً كَذَلِكَ بِبُحَيْرَاتٍ جَمِيلَةٍ ،
يُشَبِّهُ لَوْنُهَا الْأَزْرَقُ لَوْنَ الْفَيْرُوزِ ، وَتَمْتَدُّ وَرَاءَهَا غَابَاتٌ كَثِيفَةٌ ،
تَقْضِي إِلَى بَحْرِ هَادِيٍّ عَمِيقٍ ، تَسْتَطِيعُ السُّفُنُ أَنْ تَصِلَ فِيهِ

إِلَى الشَّاطِئِ ، وَتُسِيرَ تَحْتَ
أَغْصَانِ الْأَشْجَارِ الْمُمْتَدَّةِ فَوْقَهُ .
وَكَانَ هُنَاكَ بُلْبُلٌ ، قَدْ آتَخَذَ مِنْ
بَعْضِ الْأَغْصَانِ الْقَرِيبَةِ مِنَ الشَّاطِئِ ،
عُشًّا لَهُ يُغْنِي



فِيهِ وَيَغْرَدُ تَغْرِيدًا سَاحِرًا يَهْزُ الْقُلُوبَ ، حَتَّى إِنَّ الصَّيَّادَ الْفَقِيرَ





الْمُسْكِينِ ، الْمُحْتَاجِ إِلَى كَسْبِ قُوَّتِهِ وَقُوَّتِ عِيَالِهِ مِنْ صَيْدِ
السَّمَكِ ؛ كَانَ إِذَا سَمِعَهُ شُغِلَ بِصَوْتِهِ الرَّخِيمِ عَنْ طَرَحِ شَبَكَتِهِ
فِي الْمَاءِ ، وَقَالَ فِي نَفْسِهِ :

– « مَا أَجْمَلَ صَوْتَ هَذَا الْبُلْبُلِ ، وَمَا أَحْلَى غِنَاءَهُ ! »
وَأَشْتَهَرَ أَمْرُ هَذَا الْقَصْرِ وَهَذِهِ الْحَدِيقَةِ فِي جَمِيعِ أَنْحَاءِ
الْعَالَمِ ، وَأَقْبَلَ السُّيَّاحُ إِلَى عَاصِمَةِ مَمْلَكَةِ الصِّينِ ، لِيُشَاهِدُوا

ذَلِكَ الْبِنَاءَ الْجَمِيلَ الْعَجِيبَ ، وَيَتَأَمَّلُوا تِلْكَ الْحَدِيقَةَ الْفَاتِنَةَ
الْمُنْقَطِعَةَ النَّظِيرَ ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَمِعُوا غِنَاءَ الْبُلْبُلِ ،
تَحَوَّلَ إِعْجَابُهُمْ إِلَى ذَلِكَ الصَّوْتِ السَّاحِرِ ، وَصَاحُوا قَائِلِينَ :
- « إِنَّ صَوْتَ هَذَا الْبُلْبُلِ أَجْمَلُ شَيْءٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ ،

فَمَا أَحْلَى غِنَاءَهُ وَتَغْرِيدَهُ ! »

وَكَانَ هَؤُلَاءِ السُّيَّاحُ ، إِذَا رَجَعُوا إِلَى بِلَادِهِمْ ، حَدَّثُوا
إِخْوَانَهُمْ بِمَا رَأَوْا وَسَمِعُوا مِنَ الْعَجَائِبِ وَالْغَرَائِبِ .



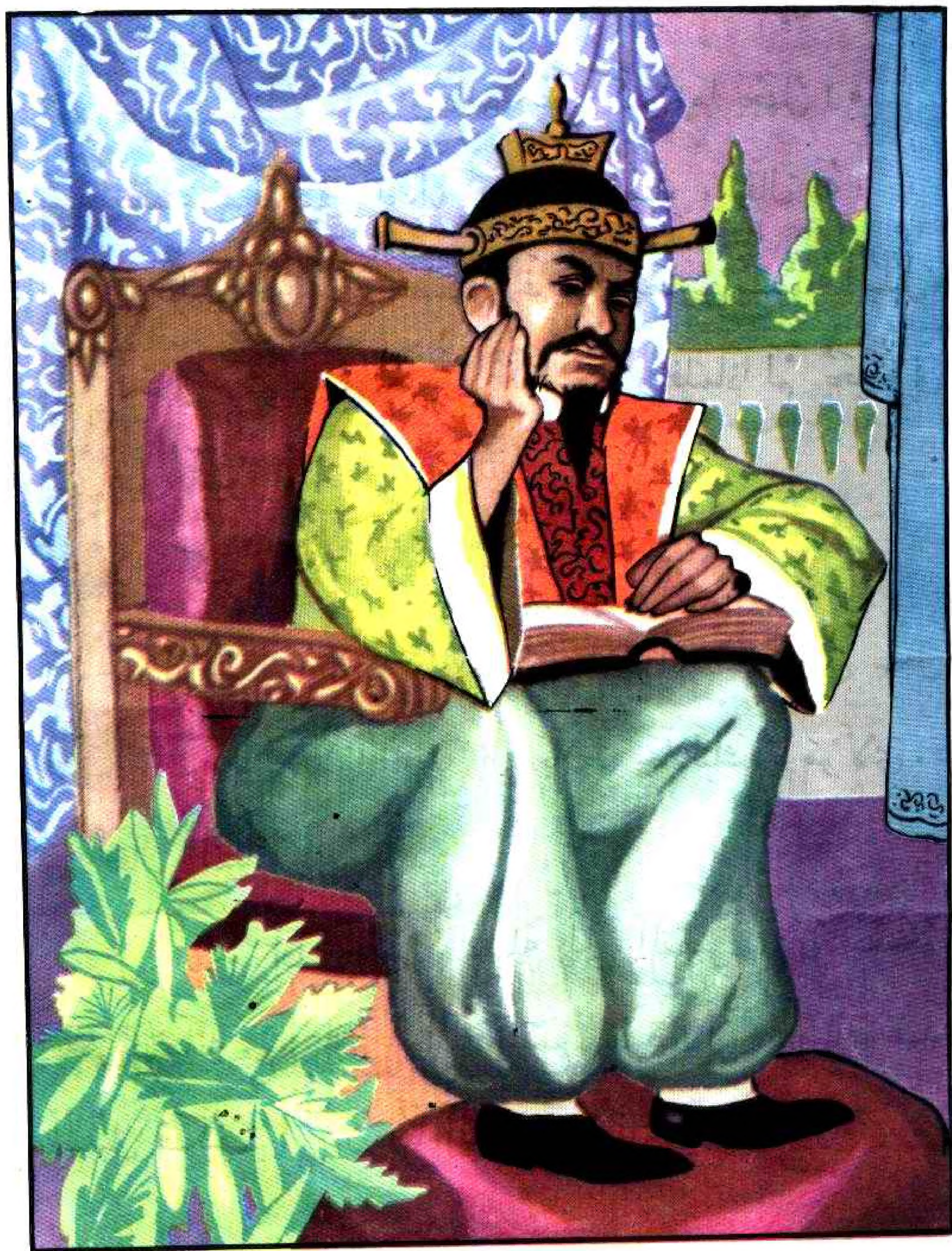
ثُمَّ أَخَذَ الْعُلَمَاءُ مِنْهُمْ
وَالشُّعْرَاءُ ، يُؤَلِّفُونَ الْكُتُبَ
وَيَنْظِمُونَ الْقَصَائِدَ فِي وَصْفِ
عَاصِمَةِ مَمْلَكَةِ الصِّينِ ،
وَقَصْرِهَا الْبَدِيعِ الْعَجِيبِ ،
وَالْحَدِيقَةِ الْمُدْهِشَةِ الَّتِي

تُحِيطُ بِالْقَصْرِ ، وَكَانُوا يَخُصُّونَ ذَلِكَ الْبُلْبُلَ بِأَعْظَمِ جَانِبٍ
مِنَ الْمَدِيحِ وَالثَّنَاءِ وَالْوَصْفِ الْجَمِيلِ .

وَسَارَتْ تِلْكَ الْكُتُبُ وَالْقَصَائِدُ حَوْلَ الْعَالَمِ ، وَانْتَشَرَتْ
فِي كُلِّ مَدِينَةٍ وَقَرْيَةٍ مِنْ مُدُنِ الْأَرْضِ وَقُرَاهَا ، حَتَّى وَصَلَ
بَعْضُهَا إِلَى يَدِ مَلِكِ الصِّينِ .

فَجَلَسَ يَوْمًا عَلَى مَقْعَدِهِ الْمَذْهَبِ ، وَانْدَفَعَ يَقْرَأُ وَيَقْرَأُ ،
وَهُوَ يَهْزُ رَأْسَهُ سُرُورًا ، فَلَمَّا وَصَلَ فِي قِرَاءَتِهِ إِلَى وَصْفِ
الْبُلْبُلِ ، قَرَأَ الْجُمْلَةَ الْآتِيَةَ : « أَمَّا الْبُلْبُلُ الَّذِي يُغْنِي عَلَى
أَغْصَانِ الشَّجَرِ فِي تِلْكَ الْغَابَةِ الْفَرِيدَةِ ، فَإِنَّهُ أَجْمَلُ مَا فِي الْقَصْرِ
وَالْحَدِيقَةِ . »

فَتَسَاءَلَ الْمَلِكُ قَائِلًا : « مَا شَأْنُ هَذَا الْبُلْبُلِ ؟ وَعَنْ أَىِّ
بُلْبُلٍ يَتَحَدَّثُونَ ؟ إِنَّنِي لَمْ أَسْمَعْ بِهَذَا الْبُلْبُلِ وَلَا رَأْيَتُهُ ، فَكَيْفَ
يَكُونُ فِي مَمْلَكَتِي ، بَلْ فِي حَدِيقَةِ قَصْرِي ، بُلْبُلٌ عَلَى مِثْلِ



هَذَا الْحُسْنِ وَالْجَمَالِ ، وَلَا أُعْرِفُ عَنْهُ شَيْئًا ؟ حَقًّا إِنَّ الْكُتُبَ
 هِيَ الَّتِي تُعَلِّمُ الْإِنْسَانَ وَتُظْلِعُهُ عَلَى كُلِّ مَا يَجْهَلُ !
 فَاسْتَدْعَى إِلَيْهِ فِي الْحَالِ كَبِيرَ الْأُمْنَاءِ ، وَقَالَ لَهُ :
 - « عَلِمْتُ أَنَّ هُنَاكَ عُصْفُورًا فَرِيدَ الْمَحَاسِنِ يُسَمُّونَهُ الْبُلْبُلُ ،
 وَأَنَّهُ أَجْمَلُ شَيْءٍ فِي حَدِيقَتِي الْوَاسِعَةِ ، فَلِمَذَا لَمْ يُحَدِّثُونِي
 عَنْهُ قَبْلَ الْيَوْمِ ؟ »

فَقَالَ كَبِيرُ الْأُمْنَاءِ :

- « لَمْ نَسْمَعْ بِهِ يَا مَوْلَايَ ، وَلَا قَرَأْنَا اسْمَهُ فِي سِجِلِّ
 التَّشْرِيفَاتِ ، وَلَا قَدَّمَهُ أَحَدٌ إِلَى بَلَاطِ جَلَالَتِكَ يَا مَوْلَايَ . »
 فَقَالَ الْمَلِكُ :

- « أُرِيدُ أَنْ يَحْضُرَ اللَّيْلَةَ إِلَى الْقَصْرِ ، وَأَنْ يُسْمِعَنِي
 بَعْضَ غِنَائِهِ . . . إِنَّ الْعَالَمَ أَجْمَعَ يَعْرِفُ أَنَّي أُمْتَلِكُ هَذَا
 الْبُلْبُلَ فَكَيْفَ أَكُونُ أَنَا الْوَحِيدَ الَّذِي يَجْهَلُهُ ، وَلَا يَعْرِفُ



مِنْ أَمْرِهِ شَيْئًا ؟ »

فَقَالَ كَبِيرُ الْأُمَنَاءِ :

« سَأَتَحَرَّى عَنْهُ وَأَعْتُرُّ

عَلَيْهِ وَأُؤَافِيكَ يَا مَوْلَايَ

بِالْخَبَرِ الْيَقِينِ . »

وَأَسْتَأْذَنَ كَبِيرُ الْأُمَنَاءِ

فِي الْإِنْصِرَافِ ، وَمَضَى يَبْحَثُ

عَنْ ذَلِكَ الْبُلْبُلِ . فَبَدَأَ يَطُوفُ

بِأَرْوَقَةِ الْقَصْرِ وَغُرْفِهِ ،

وَيَصْعَدُ فِي كُلِّ دَرَجٍ وَيَنْزِلُ

مِنْهُ ، وَيَسْأَلُ عَنِ الْبُلْبُلِ كُلِّ مَنْ رَأَاهُمْ فِي طَرِيقِهِ ، فَمَا مِنْ

أَحَدٍ اسْتَطَاعَ أَنْ يَدُلَّهُ عَلَى مَكَانِ ذَلِكَ الْبُلْبُلِ ، فَعَادَ إِلَى

الْمَلِكِ ، وَقَالَ لَهُ :

- « مَوْلَايَ ! لَا تُصَدِّقْ كُلَّ مَا تَقْرَأُ عَنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ ... »

إِنَّهَا وَهْمٌ وَخَيَالٌ ، بَلْ إِنَّهَا ضَرْبٌ مِنَ السِّحْرِ الْحَرَامِ ... »

فَقَالَ الْمَلِكُ :

- « إِنَّ الْكِتَابَ الَّذِي قَرَأْتُ فِيهِ حِكَايَةَ هَذَا الْبُلْبُلِ ، قَدْ

أَرْسَلَهُ إِلَيَّ مَلِكُ الْيَابَانِ الْعَظِيمِ ، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَحْتَوِيَ هَذَا

الْكِتَابُ عَلَى الْأَكَاذِيبِ ... ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسْمَعَ هَذَا الْبُلْبُلِ ،

وَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ هُنَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ ... فَإِنْ حَضَرَ أَكْرَمْتُهُ

وَعَمَرْتُهُ بِالْهَدَايَا ، وَإِذَا لَمْ يَحْضَرْ فَسَوْفَ أُدْوِسُ بِقَدَمِي بَعْدَ

الْعِشَاءِ بَطْنَ كُلِّ رَجُلٍ مِنْ رِجَالِ حَاشِيَتِي ... »

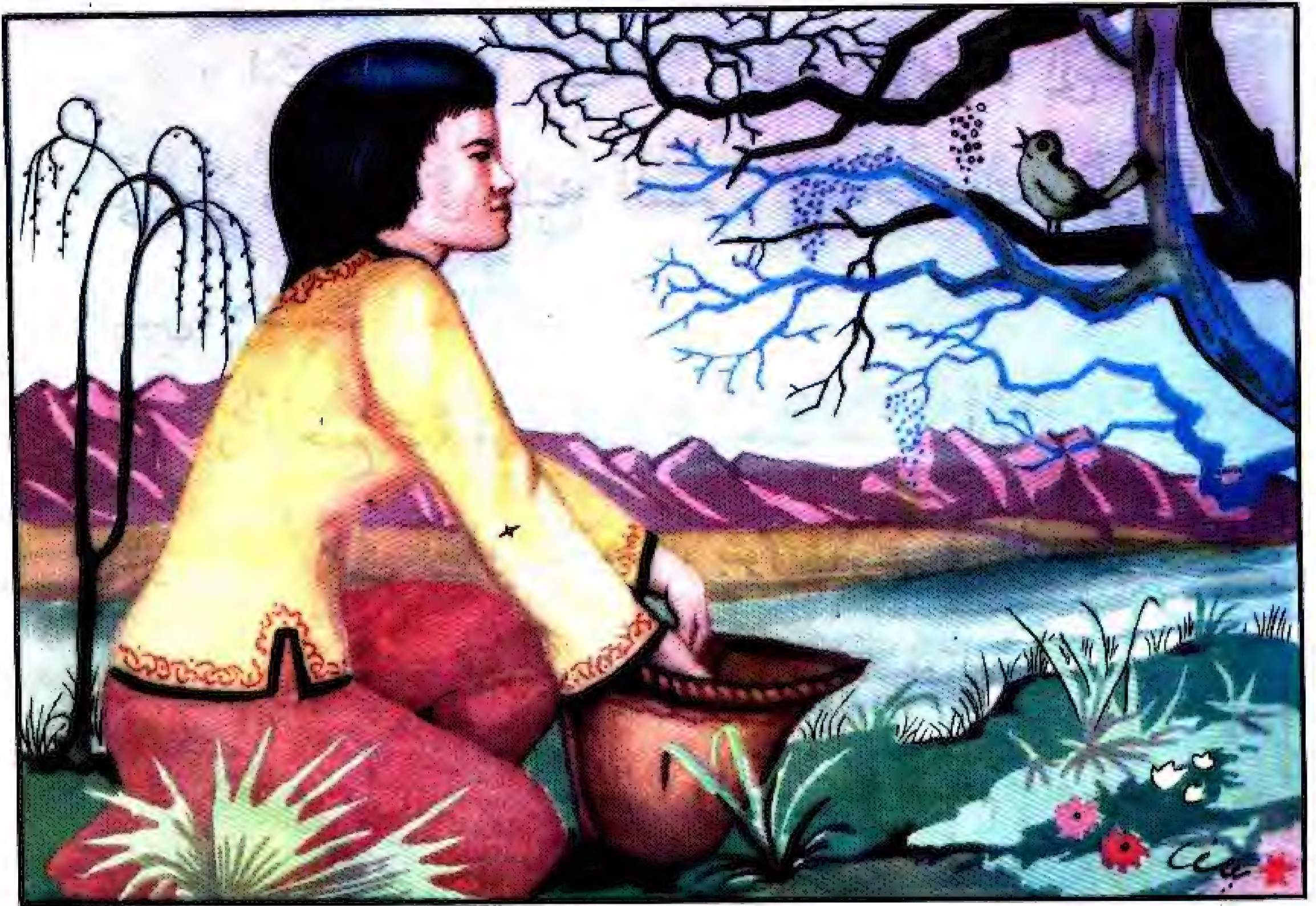
فَاضْطَرَبَ كَبِيرُ الْأُمْنَاءِ وَقَالَ :

- « سَمْعًا وَطَاعَةً يَا مَوْلَايَ . »

وَجَرَى كَبِيرُ الْأُمْنَاءِ يَطُوفُ ثَانِيَةً بِأَرْوَقَةِ الْقَصْرِ وَغُرْفِهِ ،

وَيَصْعَدُ السَّلَالِمَ وَيَنْزِلُ مِنْهَا ، وَجَرَى مَعَهُ عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنْ رِجَالِ

الْحَاشِيَةِ ، وَكُلُّهُمْ خَائِفٌ مِنْ أَنْ تُدَاسَ بَطْنُهُ بَعْدَ الْعِشَاءِ .
 وَفِيمَا ذَلِكَ الْجُمُهورُ يَرُ كُضُ ، مَرَّ بِعَامِلَةٍ صَغِيرَةٍ مِنْ
 الْعَامِلَاتِ فِي مَطْبَخِ الْقَصْرِ ، فَسَأَلَهَا كَبِيرُ الْأُمَنَاءِ سُؤَالَ الْيَائِسِ
 عَمَّا تَعْرِفُ مِنْ أَمْرِ الْبُلْبُلِ فَقَالَتِ الْفَتَاةُ :
 - « إِنِّي أَعْرِفُ الْبُلْبُلَ كُلَّ الْمَعْرِفَةِ ... حَقًّا يَا سَيِّدِي إِنَّهُ



بُلْبُلٌ مُدْهَشٌ لَا يُحَاكِيه فِي جَمَالِ الصَّوْتِ أَيْ طَائِرٍ آخَرَ ...

وَأَعْلَمَ يَا سَيِّدِي أَنِّي فِي كُلِّ مَسَاءٍ أَتْرُكُ الْقَصْرَ حَامِلَةً إِلَى أُمِّي
بَعْضَ فَضَلَاتِ الطَّعَامِ، فَعِنْدَمَا أَعُودُ رَاجِعَةً إِلَى الْقَصْرِ أَتَوَقَّفُ قَلِيلًا
عِنْدَ بَعْضِ الْأَشْجَارِ فِي الْغَابَةِ ، وَأُصْغِي إِلَى غِنَاءِ الْبُلْبُلِ
فَيُطْرِبُنِي غِنَاؤُهُ وَيَكَادُ الدَّمْعُ يَنْهَمِرُ مِنْ عَيْنَيَّ تَأْثُرًا وَطَرَبًا .
فَقَالَ لَهَا كَبِيرُ الْأُمَنَاءِ مُتَلَهِّفًا :

- « اِسْتَمِعِي لِي يَا بُنَيَّةُ ... سَوْفَ أَرْفَعُكَ إِلَى مَنْصِبٍ
أَعْلَى مِنْ مَنْصِبِكَ فِي مَطْبَخِ الْقَصْرِ ، إِذَا أَنْتِ دَلَلْتِنَا عَلَى مَكَانِ
الْبُلْبُلِ ، وَمَشَيْتِ مَعَنَا إِلَيْهِ . »

وَسَارَ الْجَمْعُ تَتَقَدَّمُهُمُ الْفَتَاةُ إِلَى حَيْثُ تَعَوَّدَتْ أَنْ تَسْمَعَ الْبُلْبُلَ
يُغَنِّي ، فَمَرُّوا فِي أَثْنَاءِ سَيْرِهِمْ ، بِثَوْرِ يَمْرَحُ فِي الْغَابَةِ ، فَجَفَلَ
مِنْ رُؤْيَيْهِمْ وَأَخَذَ يَخُورُ خَوَارًا شَدِيدًا ، فَصَاحَ أَحَدُهُمْ :
- « هَاهُوَذَا صَوْتُ الْبُلْبُلِ ، وَلَكِنْ مَا أَضْخَمَ الصَّوْتُ عَلَى
طَائِرٍ صَغِيرٍ ... ثُمَّ إِنِّي قَدْ سَمِعْتُ هَذَا الصَّوْتَ قَبْلَ الْآنِ ! »

فَقَالَتْ لَهُ الْفَتَاةُ :

- « لَيْسَ هَذَا صَوْتُ الْبُلْبُلِ يَا سَيِّدِي ... إِنَّهُ خُورٌ ثَوْرٌ ... »

أَمَّا مَكَانُ الْبُلْبُلِ فَلَا يَزَالُ غَيْرَ قَرِيبٍ مِنْ هُنَا . »

وَلَمْ تَكِدِ الْفَتَاةُ تُتِمُّ كَلَامَهَا حَتَّى أَخَذَتْ الضَّفَادِعُ تَنَقُّ

فِي بَعْضِ الْمُسْتَنْقَعَاتِ وَيُسْمَعُ لِنَقِيقِهَا صَوْتُ بَعِيدٍ الصَّدى .

فَصَاحَ رَجُلٌ آخَرُ مِنْ رِجَالِ الْحَاشِيَةِ قَائِلًا :

- « هَا هُوَ ذَا صَوْتُ الْبُلْبُلِ . إِنِّي لَأَسْمَعُهُ ... إِنَّهُ لِيُشْبِهُ

صَوْتُ الْجَرَسِ . » فَقَالَتْ لَهُ فَتَاةُ الْمَطْبَخِ :

- « لَيْسَ هَذَا صَوْتُ الْبُلْبُلِ يَا سَيِّدِي ... إِنَّهُ تَقِيقُ



الضفادع... وكيفما كان الأمر، فسوف نسمع صوت البلبل

بعد قليل، فقد أصبحنا على مقربة من مكانه.

وما هي إلا دقائق معدودات، حتى ترقرق في جو الغابة

صوت حلو رخم، يأسر القلوب والأسماع، فقالت الفتاة:

- «هذا صوت البلبل... اسمعوه: اسمعوه يا سادة

وأصغوا إليه. وأنظروا إلى حيث أشر لكم تجدوا البلبل

العجيب.

والتفت القوم إلى المكان الذي أشارت إليه إصبع الفتاة،

فوقعت أنظارهم على عصفور صغير، رمادي اللون، واقف فوق

غصن من أغصان شجرة كبيرة عالية. فقال كبير الأمناء:

- «ما كنت لأتخيل البلبل على مثل

هذا المظهر... إنه حقاً طائر نحيل الجسم،

باهت اللون، فلعله اضطرب وبهت لونه





عِنْدَمَا شَاهَدَ هَذَا الْجَمْعَ الْغَفِيرَ مِنْ أَكْبَرِ الْقَوْمِ
وَعُظَمَائِهِمْ . «

فَرَفَعَتِ الْفَتَاةُ رَأْسَهَا نَحْوَ الْبُلْبُلِ ، وَقَالَتْ تُحَدِّثُهُ بِصَوْتٍ عَالٍ :
- « أَيُّهَا الْبُلْبُلُ الْعَزِيزُ ! إِنَّ مَلِكَنَا الْمَجْبُوبَ يَرْغَبُ أَنْ

تُغْنِيَهُ بَعْضَ أَغَانِيكَ . » فَقَالَ الْبُلْبُلُ :

- « عَلَى الرَّأْسِ وَالْعَيْنِ ... إِنَّ رَغَبَاتِ الْمَلِكِ أَوْامِرُ نَلْبِيهَا

طَائِعِينَ مَسْرُورِينَ . »

ثُمَّ أَخَذَ يُغْنِي وَيُغَرِّدُ فَسَحَرَ الْأَلْبَابَ ، وَسَبَى الْقُلُوبَ ، حَتَّى

قَالَ كَبِيرُ الْأُمَنَاءِ :

- « إِنَّ لِصَوْتِ هَذَا الْبُلْبُلِ رَيْنًا يُشْبِهُ رَيْنَ الْبَلَّورِ ... »

وَوَظَنَ الْبُلْبُلُ أَنَّ كَبِيرَ الْأُمَنَاءِ هُوَ الْمَلِكُ فَقَالَ :

- « هَلْ يُرِيدُ جَلَالَةُ الْمَلِكِ أَنْ أَمْضِيَ فِي الصُّدَاحِ

وَالْتَفْرِيدِ ؟ » فَقَالَ كَبِيرُ الْأُمَنَاءِ يُجِيبُهُ :

- « يَا عَزِيزِي الْبُلْبُلُ ! إِنَّ جَلَالََةَ الْمَلِكِ لَيْسَ يَشْنَأُ ،
 وَلَكِنَّهُ سَمِعَ بِكَ فَاشْتَقَ إِلَى رُؤْيَيْكَ وَسَمَاعِ صَوْتِكَ ، وَإِنَّهُ
 لَيَسُرُّنِي وَيُشْرِفُنِي أَنْ أَدْعُوكَ بِاسْمِ جَلَالَتِهِ إِلَى شُهُودِ الْحَفْلِ
 السَّاهِرِ الَّذِي يُقَامُ اللَّيْلَةَ فِي قَصْرِهِ وَإِنِّي لَعَلَى ثِقَةٍ
 بِأَنَّ جَلَالََةَ الْمَلِكِ سَيَطْرَبُ غَايَةَ الطَّرَبِ ، إِذَا سَمِعَ صَوْتَكَ
 وَأَغَانِيكَ . »

فَقَالَ الْبُلْبُلُ :

- « إِنَّ صَوْتِي أَجْمَلُ مَا يَكُونُ فِي الْحُقُولِ وَالْغَابَاتِ ، غَيْرَ
 أَنِّي أَقْبَلُ الدَّعْوَةَ خُضُوعًا لِمَشِيئَةِ الْمَلِكِ . »
 وَكَانَ قَصْرُ الْمَلِكِ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ مُزْدَانًا بِأَرْوَاحِ زِينَةٍ ،
 وَكَانَتِ الْحِيطَانُ وَالسَّقُوفُ وَكُلُّهَا مِنَ الْبِلُورِ وَالْخَزَفِ الصِّينِيِّ
 الْفَاخِرِ تَبْرِقُ وَتَسْطَعُ فِي الْأَضْوَاءِ الْمُنْعَكِسَةِ عَلَيْهَا مِنْ آلَافِ
 الْمَصَايِحِ الذَّهَبِيَّةِ . وَكَانَتْ أَرْوَقَةُ الْقَصْرِ مُمْتَلِئَةً بِأَجْمَلِ

أَنْوَاعِ الْوَرْدِ وَالزَّهْرِ ، وَقَدْ رُبِّطَتْ بِهَا أَجْرَاسٌ مِنْ الْفِضَّةِ ،
تَتَحَرَّكُ وَتَتَمَايَلُ ، فَيُسْمَعُ لَهَا رَيْنٌ جَمِيلٌ . وَكَانَ الْقَصْرُ
كُلُّهُ فِي حَرَكَةٍ مُسْتَمِرَّةٍ ، فَهَذَا يَرُوحُ وَهَذَا يَجِيءُ ، وَذَاكَ
يَتَحَدَّثُ وَآخَرُ يَضْحَكُ ، حَتَّى شَمَلَ الْقَصْرَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ مَظْهَرٌ
غَرِيبٌ جَدِيدٌ ، لَمْ يَأْلَفْهُ النَّاسُ مِنْ قَبْلُ .

وَكَانَتْ قَاعَةُ الْعَرْشِ الْكُبْرَى ، آيَةً آلَايَاتِ رَوْعَةٍ وَجَمَالاً
وَقَدْ نُصِبَتْ فِيهَا قَاعِدَةٌ مِنْ الْفِضَّةِ يَتَفَرَّعُ عَلَيْهَا غُصْنٌ مِنْ الذَّهَبِ
لِيَقِفَ الْبُلْبُلُ فَوْقَهُ .

وَفِي الْمَوْعِدِ الْمُحَدَّدِ ، أَقْبَلَ الْمَلِكُ وَجَلَسَ عَلَى عَرْشِهِ
الذَّهَبِيِّ وَأَزْدَحَمَتِ الْحَاشِيَةُ مِنْ حَوْلِهِ حَتَّى غَصَّتِ الْقَاعَةُ
بِالْحَاضِرِينَ عَلَى سِعَتِهَا ، أَمَّا فَتَاةُ الْمَطْبَخِ فَكَانَتْ تَشْهَدُ الْحِفْلَ
مِنْ خِلَالِ الثُّقْبِ فِي قُفْلِ أَحَدِ الْأَبْوَابِ ، فَلَقَبُهَا الْجَدِيدُ وَهُوَ
«رَئِيسَةُ الْعَامِلَاتِ فِي مَطْبَخِ صَاحِبِ الْجَلَالَةِ» يَأْذَنُ لَهَا فِي ذَلِكَ .



وَعَرَّدَ الْبُلْبُلُ تَغْرِيدًا جَمِيلًا ، سَحَرَ الْقُلُوبَ ، وَأَجْرَى
 الدَّمْعَ عَلَى الْخُدُودِ مِنْ شِدَّةِ الطَّرَبِ وَالتَّأَثُّرِ ، وَكَانَ
 الْمَلِكُ أَكْثَرَ السَّامِعِينَ تَأَثُّرًا ، وَأَغْزَرَهُمْ دُمُوعًا ، فَخَلَعَ
 قِلَادَةً كَانَتْ فِي عُنُقِهِ ، وَأَمَرَ بِأَنْ تُعَلَّقَ بِعُنُقِ الْبُلْبُلِ
 دَلَالَةٌ عَلَى سُرُورِهِ وَرِضَاهُ . فَأَعْتَذَرَ الْبُلْبُلُ عَنْ قَبُولِ تِلْكَ
 الْهَدِيَّةِ وَقَالَ :

— « لَقَدْ كُوفِيتُ عَلَى غِنَائِي أَثْمَنَ مُكَافَأَةٍ ، فَقَدْ رَأَيْتُ الدَّمْعَ



يَنْهَمِرُ مِنْ عَيْنِي الْمَلِكِ ، وَذَلِكَ عِنْدِي أَعْلَى مِنْ كُلِّ كُنُوزِ
الْأَرْضِ ، إِنَّ دُمُوعَ الْمَلِكِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ثَمِينٌ ، وَإِنِّي لَأَعُدُّ
نَفْسِي قَدْ نِلْتُ بِهَا أَكْثَرَ الْجَزَاءِ . »

وَأَتَتْهُ الْحَفْلُ عَلَى أَجْمَلِ مَا يَكُونُ مِنَ الْبَهْجَةِ وَالسُّرُورِ ،
وَأَصْدَرَ الْمَلِكُ أَمْرَهُ بِأَنْ يَسْكُنَ الْبُلْبُلُ الْقَصْرَ ، وَأَنْ يُصْنَعَ لَهُ
قَفْصٌ خَاصٌّ يَأْوِي إِلَيْهِ ، وَلَكِنَّهُ سَمَحَ لَهُ بِمُغَادَرَةِ الْقَصْرِ
مَرَّتَيْنِ فِي النَّهَارِ ، وَمَرَّةً فِي اللَّيْلِ . وَأَمَرَ كَذَلِكَ بِأَنْ يَقُومَ
عَلَى خِدْمَةِ الْبُلْبُلِ اثْنَا عَشَرَ خَادِمًا .

فَكَانَ كُلُّ خَادِمٍ مِنْ هَؤُلَاءِ يُمَسِكُ بِيَدِهِ خَيْطًا مِنَ الْحَرِيرِ
رُبِطَ طَرَفُهُ الْآخَرُ بِإِحْدَى قَائِمَتِي الْبُلْبُلِ ، فَضَاقَ الْعُصْفُورُ
الْمُسْكِنُ بِهَذِهِ الْحَالِ ، وَعَدَلَ عَنْ مُغَادَرَةِ الْقَصْرِ ، حَتَّى فِي الْمَرَّاتِ
الَّتِي سُمِحَ لَهُ بِهَا ، وَاسْتَقَرَّ فِي قَفْصِهِ هَادِئًا سَاكِئًا .

وَقَامَتِ الْعَاصِمَةُ وَقَعَدَتْ ، وَأَصْبَحَتْ لَا تَتَحَدَّثُ إِلَّا عَنْ



ذَلِكَ الْبُلْبُلُ الْعَجِيبُ صَاحِبِ الصَّوْتِ الْجَمِيلِ السَّاحِرِ .
 وَأَخَذَ الْآبَاءُ وَالْأُمَّهَاتُ يُسَمُّونَ كُلَّ مَوْلُودٍ لَهُمْ بِاسْمِ
 « بُلْبُلٍ » إِظْهَارًا لِإِعْجَابِهِمْ بِذَلِكَ الطَّائِرِ الْجَمِيلِ ، وَلَكِنْ لَمْ
 يَكُنْ لِأَحَدٍ مِنْهُ هُوْلَاءِ الْمَوَالِيدِ أَيْ أَثَرٍ مِنْ صَوْتِ الْبُلْبُلِ .
 وَتَلَقَّى الْمَلِكُ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ عُلْبَةً كَبِيرَةً مَكْتُوبًا
 عَلَيْهَا كَلِمَةُ « بُلْبُلٍ » . فَقَلَّبَ الْمَلِكُ الْعُلْبَةَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَالَ :
 - « لَا بُدَّ أَنْهُ كِتَابٌ جَدِيدٌ مِنَ الْكُتُبِ الْمُؤَلَّفَةِ عَنْ

هَذَا الطَّائِرِ الشَّهِيرِ . »



ثُمَّ فَتَحَ الْعُلْبَةَ فَوَجَدَ فِيهَا
 أُعْجُوبَةً مِنْ أَعَاجِبِ الصَّنَاعَةِ ،
 فَقَدْ كَانَ فِي دَاخِلِهَا عُصْفُورٌ مَصْنُوعٌ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ مُرَصَّعٌ

بِالْأَلْمَاسِ وَالْيَاقُوتِ وَالزُّمُرُودِ، يُشَبِّهُ كُلَّ الشَّيْءِ ذَلِكَ الْبُلْبُلُ الْحَيُّ .
وَكَانَ إِذَا أُدِيرَ مِفْتَاحُ آلَاءِ الْمُرَكَّبَةِ فِي جَوْفِهِ ، انْطَلَقَ يُغَنِّي
إِحْدَى الْأَغَانِي الَّتِي تَعُودُ الْبُلْبُلُ الْحَيُّ أَنْ يُغَنِّيَهَا ، وَأَخَذَ فِي الْوَقْتِ
نَفْسِهِ يُحَرِّكُ ذَيْلَهُ الْبَرَّاقَ اللَّمَّاعَ .

وَكَانَ عُنُقُ ذَلِكَ الْبُلْبُلِ آلَاءِي مَلْفُوفًا بِمِنْدِيلٍ مِنَ الْحَرِيرِ ،
كُتِبَتْ عَلَيْهِ الْعِبَارَةُ الْآتِيَةُ : « بُلْبُلُ مَلِكِ الصِّينِ لَا يُقَارَنُ
بِبُلْبُلِ مَلِكِ الْيَابَانِ . »

وَالْحَقُّ أَنَّ الْمَلِكَ عِنْدَمَا فَتَحَ الْعُلْبَةَ ، لَمْ يَسْتَطِعْ هُوَ
وَلَا اسْتَطَاعَ الَّذِينَ كَانُوا حَوْلَهُ أَنْ يَكْتُمُوا دَهْشَتَهُمْ وَإِعْجَابَهُمْ
فَصَاحُوا كُلُّهُمْ فِي صَوْتٍ وَاحِدٍ :

« يَا لِلْعَجَبِ ! »

وَفَكَّرَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْحَاضِرِينَ فِي نَفْسِهِ وَقَالَ : « لَقَدْ
صَارَ لَدَيْنَا بُلْبُلَانِ ، وَلَسَوْفَ يُغَنِّيَانِ مَعًا ، وَيَكُونُ لَنَا مِنْ

غِنَائِهِمَا مُوسِيقَى مُزْدَوِجَةٍ ! »

وَتَحَقَّقَتِ الْفِكْرَةُ ، وَغَنَى الْبُلْبُلَانِ مَعًا ، وَلَكِنْ عَلَى غَيْرِ
مَا أَشْتَهَى السَّامِعُونَ ، فَبَيْنَمَا كَانَ الْبُلْبُلُ الْحَيُّ حُرًّا طَلِيقًا ،
يُغَرِّدُ كَمَا يَشَاءُ ، كَانَ الْبُلْبُلُ الصَّنَاعِيُّ مُقَيَّدًا بِآلَةٍ الْمَوْضُوعَةِ

فِي جَوْفِهِ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَحِيدَ عَنْهَا ،
فَتَضَاقِقَ السَّامِعُونَ ، فَقَالَ رَئِيسُ جَوْقَةِ



الْمُوسِيقَى فِي الْقَصْرِ :

« لَيْسَ الذَّنْبُ ذَنْبَ هَذَا الْبُلْبُلِ الصَّنَاعِيِّ ، فَهُوَ أَمِينٌ
عَلَى النِّعَمِ كَأَنَّهُ مُتَخَرِّجٌ فِي مَدْرَسَتِي ، فَأَلْفُضَلُ أَنْ يُغْنِيَ
وَحْدَهُ . »

وَجَعَلُوا الْبُلْبُلَ الصَّنَاعِيَّ يُغْنِي وَحْدَهُ ، فَلَقِيَ مِثْلَ النَّجَاحِ
الَّذِي لَقِيَهُ الْبُلْبُلُ الْحَيُّ ، فَضِلًّا عَنْ أَنَّهُ كَانَ أَجْمَلَ مَنْظَرًا
بِمَا يَسْطَعُ فِيهِ مِنْ لَالِيٍّ وَجَوَاهِرَ .

وَأَسْتَعَادَهُ السَّامِعُونَ مِرَارًا فَأَعَادَ الْأَنْشُودَةَ اثْنَيْنِ وَثَلَاثِينَ
مَرَّةً ، فَمَا مَلَّ وَلَا تَعَبَ ، وَكَادُوا يَطْلُبُونَ سَمَاعَهَا لِلْمَرَّةِ الثَّالِثَةِ
وَالثَّلَاثِينَ ، لَوْ لَا أَنَّ الْمَلِكَ اسْتَوْقَفَهُمْ وَقَالَ :

« كَفَى . فَعَلَى الْبُلْبُلِ الْحَيِّ أَنْ يَصْدَحَ الْآنَ . »

وَلَكِنْ أَيْنَ الْبُلْبُلُ الْحَيُّ ؟ كَانَ حُرَّاسُهُ قَدْ شُغِلُوا عَنْهُ

بِالْبُلْبُلِ الصَّنَاعِيِّ ، فَتَرَكَوا الْخِيُوطَ الَّتِي فِي أَيْدِيهِمْ ، فَغَافَلَ الْجَمْعُ

وَطَارَ مِنَ النَّافِذَةِ الْمَفْتُوحَةِ ، وَعَادَ إِلَى عِشِّهِ فِي الْغَابَةِ .
 وَاشْتَدَّ غَضَبُ الْمَلِكِ وَحَاشِيَتِهِ عَلَى الْبُلْبُلِ الْحَيِّ الْهَارِبِ ،
 فَصَدَرَتْ الْأَوَامِرُ بِنَفْيِهِ مِنَ الْعَاصِمَةِ ، بَلْ مِنْ الْمَمْلَكَةِ
 بِأَسْرِهَا ، جَزَاءَ فِرَارِهِ وَإِنْكَارِهِ لِلْجَمِيلِ .
 وَبَعْدَ عِدَّةِ أَيَّامٍ أَلْتَمَسَ رَئِيسُ جَوْقَةِ الْمَوْسِقَى مِنَ الْمَلِكِ ،
 أَنْ يَسْمَحَ لَهُ بِعَرْضِ الْبُلْبُلِ الصَّنَاعِيِّ عَلَى جُمْهُورٍ مِنَ الشَّعْبِ
 لِيَتَمَتَّعَ بِجَمَالِهِ وَغِنَائِهِ الْبَدِيعِ ، فَأَذِنَ الْمَلِكُ لَهُ فِي ذَلِكَ ،
 وَكَانَ سُرُورُ الشَّعْبِ بِسَمَاعِ غِنَاءِ الْبُلْبُلِ عَظِيمًا لَا يُوصَفُ .
 وَأُحِيطَ الْبُلْبُلُ الصَّنَاعِيُّ بِكُلِّ رِعَايَةٍ وَتَكَرُّمٍ ، فَوَضَعُوهُ
 فَوْقَ وَسَادَةٍ مِنَ الْحَرِيرِ ، عَلَى مَقْرُبَةٍ مِنْ سَرِيرِ الْمَلِكِ ،
 وَنَشَرُوا حَوْلَهُ جَمِيعَ الْهَدَايَا الَّتِي قُدِّمَتْ لَهُ وَكُلُّهَا مِنَ الذَّهَبِ
 وَالْحِجَارَةِ الْكَرِيمَةِ : وَمَنَحَهُ الْمَلِكُ لَقَبَ « مُطْرِبِ الْمَلِكِ »
 وَكَانَ مِنْ حَقِّ حَامِلِ هَذَا اللَّقَبِ أَنْ يَجْلِسَ فِي الصَّفِّ الْأَوَّلِ



إِلَى يَسَارِ رَبِّ الْقَصْرِ .

وَكَانَ الْمَلِكُ قَدْ فَضَّلَ جِهَةَ

الْيَسَارِ عَلَى جِهَةِ الْيَمِينِ ، وَمَيَّزَهَا

بِالشَّرَفِ وَالْفَضْلِ ، لِأَنَّهَا جِهَةُ

الْقَلْبِ مِنْ جِسْمِ الْإِنْسَانِ ،

فَالْمُلُوكُ هُمْ أَيْضًا يَقُومُ قُلُوبُهُمْ

إِلَى الْيَسَارِ ، مِثْلَ بَقِيَّةِ النَّاسِ ، وَلَا يَخْتَلِفُونَ عَنْهُمْ فِي

هَذَا الْأَمْرِ .

وَمَضَتْ عَلَى ذَلِكَ سَنَةٌ كَامِلَةٌ ، حَتَّى إِنَّ الْمَلِكَ وَرِجَالَ

حَاشِيَتِهِ وَجَمِيعَ الصِّينِيِّينَ ، أَصْبَحُوا يَحْفَظُونَ عَنْ ظَهْرِ الْقَلْبِ ،

كُلَّ كَلِمَةٍ بَلَّ كُلَّ نِعْمَةٍ مِنْ أُغْنِيَةِ الْبُلْبُلِ الصَّنَاعِيِّ .

وَحِينَمَا كَانَتْ جُمُوعُهُمْ ، مِنَ الْمَلِكِ إِلَى صِبْيَةِ الشُّوَارِعِ

تُغْنِي وَتَقُولُ : « توى ... توى ... توى ... توى ... جلوجلو ...

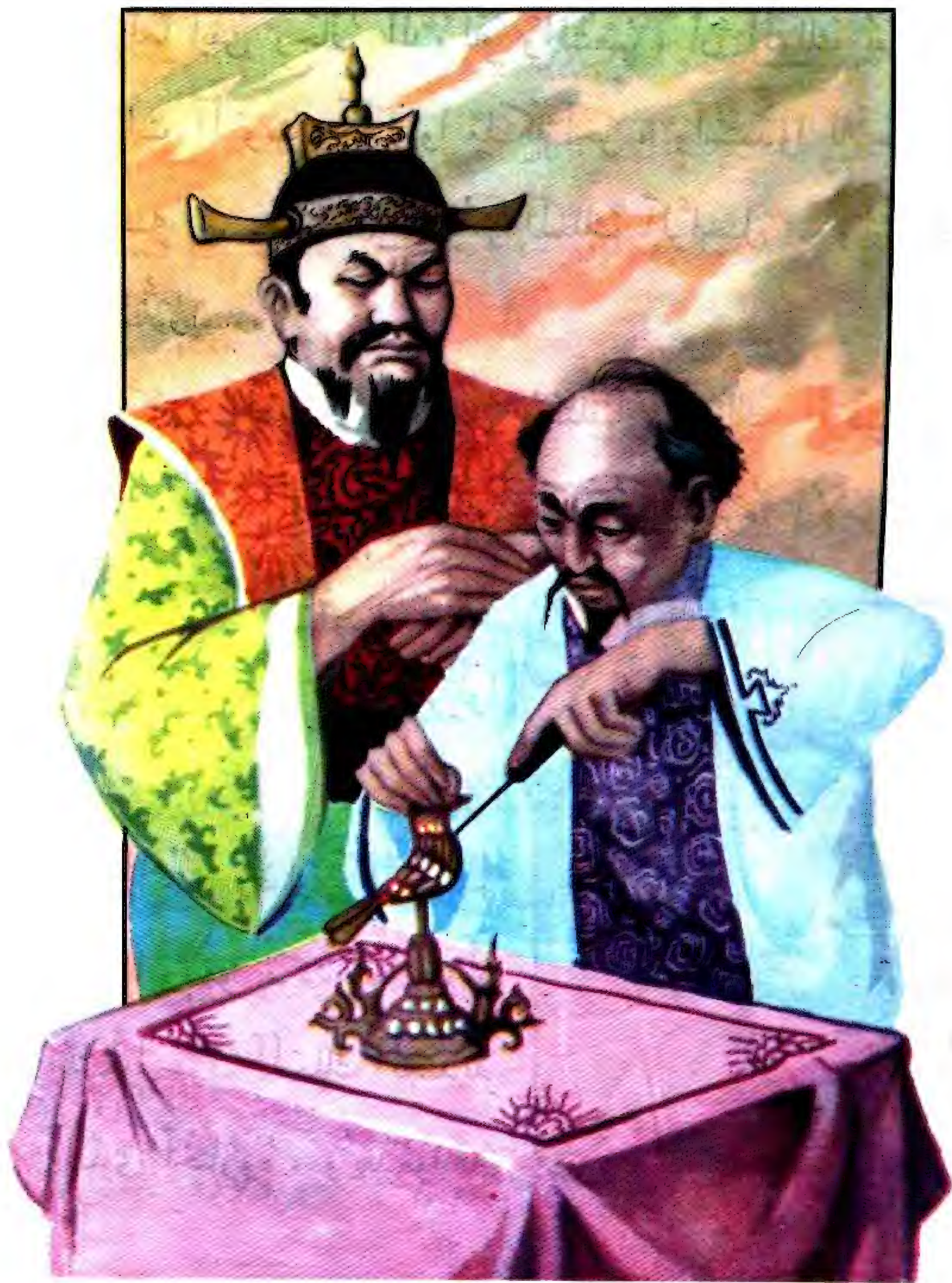
جلوجلو . . . جلوجلو . . . « كَانَ يُخَيَّلُ إِلَى السَّامِعِ ، أَنَّ
 أَصْوَاتَ النَّاسِ فِي الصِّينِ قَدْ انْقَلَبَتْ كُلُّهَا إِلَى تَغْرِيدِ الْبَلَابِلِ . »
 وَاتَّفَقَ فِي مَسَاءِ أَحَدِ الْأَيَّامِ ، أَنَّ كَانَ الْبُلْبُلُ الصَّنَاعِيُّ
 يُفَنِّي وَحْدَهُ لِلْمَلِكِ الْمُضْطَّجِعِ فِي سَرِيرِهِ ، فَسَمِعَ فَجْأَةً
 فِي جِسْمِ الْبُلْبُلِ دَوًى شَدِيدٌ كَأَنَّهُ يَقُولُ : « كَرَاكَ » مِمَّا يَدُلُّ
 عَلَى شَيْءٍ فِيهِ قَدْ أَنْكَسَرَ ، وَتَبَعَ ذَلِكَ الدَّوًى صَوْتُ آخَرَ
 يُشَبِّهُ الْكَرَّكَرَةَ . . . كَر . . . وَكَانَ ذَلِكَ صَوْتُ اللَّوَالِبِ الصَّغِيرَةِ
 الْمُرَكَّبَةِ فِي آلَاةٍ ، فَقَدْ تَفَكَّكَتْ وَأَنْكَسَرَ بَعْضُهَا ، وَانْقَطَعَ
 صَوْتُ الْبُلْبُلِ فَلَا غِنَاءَ وَلَا تَغْرِيدَ .

فَقَفَزَ الْمَلِكُ مِنْ سَرِيرِهِ ، وَاسْتَدْعَى عَلَى الْفَوْرِ طَبِيبَهُ
 الْخَاصَّ ، وَلَكِنَّ الطَّبِيبَ عَجَزَ عَنْ أَنْ يَسْتَطِيعَ مُدَاوَاةَ
 الْبُلْبُلِ ، فَكُلُّ مَا فِي جِسْمِ هَذَا الْبُلْبُلِ مِنْ عُدَدٍ وَآلَاتٍ
 يَخْرُجُ عَنْ اخْتِصَاصِ الطَّبِيبِ .

فَاسْتَدْعَى الْمَلِكُ عِنْدَ سَاعَاتِي الْقَصْرِ ، وَطَلَبَ إِلَيْهِ
 إِصْلَاحَ الْخَلَلِ ، فَبَعْدَ أَلْفِ مُحَاوَلَةٍ ، وَبَعْدَ أَلْفِ تَجَرِبَةٍ وَتَجَرِبَةٍ ،
 تَمَكَّنَ السَّاعَاتِي مِنْ إِصْلَاحِ بَعْضِ الْأَجْزَاءِ وَتَرَكِيهَا ثَانِيَةً ،
 فَعَادَ اللَّبْلُ الصَّنَاعِي إِلَى الْغِنَاءِ ، وَلَكِنْ بِصَوْتٍ ضَعِيفٍ
 يَخْتَلِفُ عَنْ صَوْتِهِ الْأَوَّلِ الْقَوِيِّ ، ذَلِكَ أَنَّ الْقَوَالِبَ
 وَالتُّرُوسَ كَانَتْ قَدْ مُسِحَتْ وَبَلِيَتْ مِنْ كَثَرَةِ الْإِسْتِعْمَالِ
 وَالِدَوْرَانِ ، وَهِيَئَاتِ أَنْ يَكُونَ الشَّيْءُ الْجَدِيدُ مِثْلَ الشَّيْءِ
 الْقَدِيمِ الْمُسْتَعْمَلِ الْبَالِي .

وَأَسِفَ النَّاسُ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ ، وَاقْتَصَرُوا عَلَى يَوْمٍ وَاحِدٍ
 فِي السَّنَةِ ، يَسْمَعُونَ فِيهِ غِنَاءَ هَذَا اللَّبْلِ .

وَاسْتَمَرُّوا كَذَلِكَ خَمْسَ سَنَاتٍ مَرَضَ الْمَلِكُ بَعْدَهَا
 مَرَضًا شَدِيدًا أَشْرَفَ بِهِ عَلَى الْمَوْتِ ، وَتَوَقَّعَ الشَّعْبُ أَنْ يُعْلَنَ
 الْقَصْرُ نَبَأَ مَوْتِ الْمَلِكِ بَيْنَ لَحْظَةٍ وَآخَرَى .



وَلَمَّا أَتَقَنَ رِجَالُ الدَّوْلَةِ وَالشَّعْبُ ، أَنَّ الْمَلِكَ يُعَالِجُ
سَكَرَاتِ الْمَوْتِ ، اخْتَارُوا مَلِكًا آخَرَ ، وَاسْتَعَدُّوا لِلْاِحْتِفَالِ
بِتَوْبِجِهِ ، بَعْدَ أَنْ يَدْفِنُوا الْمَلِكَ الرَّاحِلَ ، وَيُؤَارُوهُ
فِي التُّرَابِ .

وَكَانَ الْمَلِكُ الْمَرِيضُ مُسْتَلْقِيًا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ إِلَى
فِرَاشِهِ ، بَارِدَ الْجَسَدِ ، تَعْلُوْ وَجْهَهُ صُفْرَةٌ الْأَمْوَاتِ ،
وَكَانَ أَقْرَبُ النَّاسِ إِلَيْهِ مِنْ
رِجَالِ حَاشِيَتِهِ ، قَدْ انْصَرَفُوا
عَنْهُ ، وَتَرَكَوْا خِدْمَتَهُ
وَمَدَاوَاتَهُ ، وَصَارَ كُلُّ هِمِّهِمْ
بَعْدَ مَا وَثِقُوا بِقُرْبِ مَمَاتِهِ ، أَنْ
يَلْتَفُوا حَوْلَ الْمَلِكِ الْجَدِيدِ
الَّذِي اخْتَارُوهُ ، وَيُقَدِّمُوا لَهُ



فُرُوضِ الطَّاعَةِ وَالْإِجْلَالِ .

وَحَتَّى الْخَدَمُ وَالْمَمَرِّضَاتُ ، مِمَّنْ كَانُوا قَائِمِينَ عَلَى
خِدْمَتِهِ ، أَصْبَحُوا يُهْمِلُونَ شَأْنَهُ كُلَّ الْإِهْمَالِ ، وَيَتَجَمَّعُونَ
وَرَاءَ بَابِ حُجْرَتِهِ ، يَتَحَدَّثُونَ وَيَضْحَكُونَ ، وَيَشْرَبُونَ
الْقَهْوَةَ فِي مُعْظَمِ سَاعَاتِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ .

وَالْوَاقِعُ أَنَّ الْمَلِكَ الْمَرِيضَ ، لَمْ يَكُنْ قَدْ مَاتَ بَعْدُ ، فَإِنْ
بَدَأَ شَاحِبُ اللَّوْنِ ، يَأْسَ الْجِسْمِ ، فَإِنَّ أَنْفَاسَهُ الضَّعِيفَةَ كَانَتْ
لَا تَزَالُ تَتَرَدَّدُ فِي صَدْرِهِ ، وَهُوَ مُمَدَّدٌ فَوْقَ سَرِيرِهِ الْمُجَلَّلِ
بِسَتَائِرَ مِنَ الْحَرِيرِ وَالْمُخَمَلِ ، الْمُرْصَعِ بِالْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ .
وَفِي اللَّيْلَةِ الَّتِي ظَنُّهَا الْمَلِكُ أَنَّهَا خَاتِمَةُ حَيَاتِهِ ، كَانَ الْقَمَرُ
بَدْرًا تَمَامًا ، يُرْسِلُ مِنْ خِلَالِ النَّافِذَةِ الْمَفْتُوحَةِ أَشْعَتَهُ ، فَتَقَعُ
عَلَى وَجْهِ الْمَلِكِ .

وَلَكِنْ الْمَلِكُ كَانَ مَشْغُولًا عَنْ بَهَاءِ الْقَمَرِ وَنُورِهِ الْفِضِّيِّ ،

بِمَا كَانَ يُحْسُّ بِهِ مِنْ ضَيْقٍ شَدِيدٍ .

فَفَتَحَ عَيْنَيْهِ قَلِيلًا ، فَلَاحَ لَهُ شَبَحُ الْمَوْتِ جَاثِمًا فَوْقَهُ ،
وَقَدْ أَنْتَزَعَ مِنْهُ تَاجَهُ الْمَلَكِيُّ ، وَأَمْسَكَ بِإِحْدَى يَدَيْهِ
سَيْفَهُ الذَّهَبِيَّ ، وَحَمَلَ بِأَلَاخْرَى رَايَتَهُ الْخَرِيرِيَّةَ ، فَأَدَارَ بَصَرَهُ
عَنْهُ ، فَبَدَتْ لَهُ مِنْ ثَنَائَا الْأَسْتَارِ الْمُحِيطَةِ بِسَرِيرِهِ ، وَجُوهُ
غَرِيبَةٍ ، كَانَ بَعْضُهَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ بِنَظَرَاتِ السُّخْطِ وَالْغَضَبِ ،
وَكَانَ بَعْضُهَا الْآخَرُ يَغْمُرُهُ بِنَظَرَاتِ الْعُظْفِ وَالْحَنَانِ :

كَانَتْ الْوُجُوهُ الْأُولَى أَشْبَاحَ أَعْمَالِهِ السَّيِّئَةِ فِي الْحَيَاةِ ، وَكَانَتْ
الْآخَرَى خَيَالَ أَعْمَالِهِ الصَّالِحَةِ فِيهَا ، وَقَدْ تَرَأَتْ لَهُ هَذِهِ وَتِلْكَ
فِي اللَّحْظَةِ الَّتِي كَانَ فِيهَا الْمَوْتُ يُجْثِمُ فَوْقَ صَدْرِهِ ، وَيَسْتَعِدُّ
لِاخْتِطَافِ رُوحِهِ .

وَسَمِعَ تِلْكَ الْوُجُوهَ قَبِيحَهَا وَالْحَسَنَ ، تَتَنَاقَبُ الْحَدِيثَ ،
وَتَقُولُ لَهُ وَاحِدًا بَعْدَ آخَرَ : « هَلْ تَذْكُرُ ؟ هَلْ تَذْكُرُ ؟ »



ثُمَّ تَتَّبِعُ هَذِهِ الْجُمْلَةَ بِكَلَامٍ طَوِيلٍ تَقْصُّ عَلَيْهِ فِيهِ مَا قَامَ
 بِهِ مِنْ أَعْمَالٍ خِلَالَ حَيَاتِهِ ، فَكَانَ يَسْتَمِعُ لَهَا ، وَالْعَرَقُ
 الْبَارِدُ يَتَصَبَّبُ مِنْ جَبِينِهِ ، وَيُقَاطِعُهَا كُلَّمَا اسْتَطَاعَ إِلَى مُقَاطَعَتِهَا
 سَبِيلًا وَهُوَ يَقُولُ :

« لَا أَذْكُرُ ! لَا أَذْكُرُ ! »

فَلَمَّا أَطَالَتْ عَلَيْهِ الْقَوْلُ ، صَاحَ مُسْتَغِيثًا :

— « هَاتُوا لِي الْمَوْسِيقَى !

هَاتُوا لِي الْمَوْسِيقَى ! هَاتُوا الطَّبْلَ

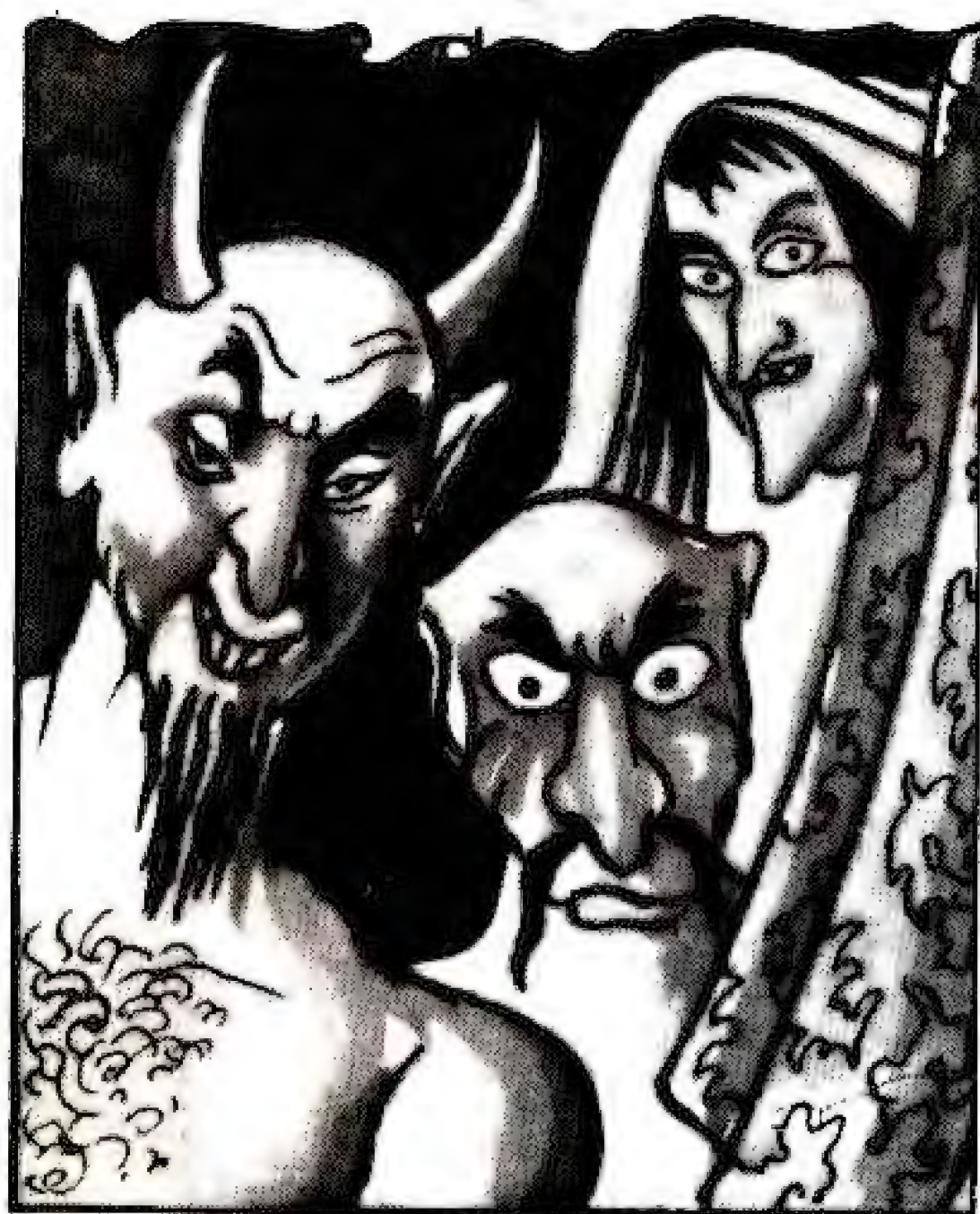
الصَّغِيرَ الْكَبِيرَ ، وَأَضْرِبُوا عَلَيْهِ

أَشَدَّ الضَّرْبِ ، حَتَّى يُغْطِيَ

دَوِيَّهُ هَذِهِ الْأَصْوَاتَ ، وَيُنْقِذَنِي

مِنْهَا ، فَإِنَّهَا تَزْعِجُنِي وَلَا أُرِيدُ حَتَّى

سَمَاعِ الْكَرِيمِ اللَّطِيفِ مِنْهَا .



وَلَكِنْ عَبَثًا كَانَ يَصِيحُ وَيَسْتَفِيثُ ، فَمَا سَكَتَتْ تِلْكَ الْوُجُوهُ
الْغَرِيبَةُ عَنْ الْكَلَامِ ، بَلِ اسْتَمَرَّتْ فِيهِ وَأَطَالَتْ ، وَشَبَحُ الْمَوْتِ
يُصْنِفِي إِلَيْهَا عَلَى مُخْتَلِفِ رِوَايَاتِهَا ، وَيَهْزُ رَأْسَهُ مُوَافِقًا عَلَى
مَا تَقْصُ وَتَقُولُ .

وَضَاقَ الْمَلِكُ بِذَلِكَ الْحَدِيثِ ، وَفَقَدَ كُلَّ صَبْرٍ عَلَيْهِ ، فَعَادَ
يَصِيحُ وَيَسْتَفِيثُ وَيَقُولُ :

- « هَاتُوا لِي الْمَوْسِيقَى ! هَاتُوا لِي الْمَوْسِيقَى ! »

فَمَا أَجَابَهُ أَحَدٌ ، وَلَا لَبَّى نِدَاءَهُ ، فَالْتَفَتَ إِلَى الْبَلْبَلِ الصَّنَاعِيِّ
الْوَاقِفِ عَلَى مَقْرُبَةٍ مِنْ سَرِيرِهِ ، وَقَالَ لَهُ :

- « أَيُّهَا الطَّائِرُ الْعَزِيزُ الْجَمِيلُ ! غَنِّ غَنِّ . أَسْمِعْنِي لَحْنَكَ

الْمُطْرَبَ . . . إِنِّي غَمَرْتُكَ بِأَلْمَالِ وَالْهَدَايَا الثَّمِينَةِ . . . فَغَنِّ لِي
إِذْنٌ ، وَأَسْمِعْنِي نغماتِكَ الْحُلُوةَ الْجَمِيلَةَ . . . »

وَبَقِيَ الْبَلْبَلُ الصَّنَاعِيُّ سَاكِتًا جَامِدًا لَا يَتَحَرَّكُ وَلَا يُجِيبُ ،

وَلَا تَنْفَرُ شَفَاهُ عَنْ أَيْةِ نِعْمَةٍ مِنَ النِّعَمَاتِ ، لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ
فِي الْحُجْرَةِ أَحَدٌ يُدِيرُ مِفْتَاحَ آلَاةِ الْمَرْكَبَةِ فِي جَسَدِهِ ،
لِتَحْرَكَ وَيَنْبَعِثَ مِنْهَا الْغِنَاءُ .

وَسَكَتَ الْمَلِكُ يَأْسًا مُتَعَبًا ، وَخِيَمَ حَوْلَهُ صَمْتُ رَهيبٍ
مُخِيفٍ ، وَأَخَذَ الْمَوْتُ يُحَدِّقُ فِي وَجْهِ الْمَلِكِ بَعَيْنَيْهِ الْغَائِرَتَيْنِ
وَعَلَى حِينٍ فَجْأَةً ، سَمِعَ عِنْدَ النَّافِذَةِ الْمَفْتُوحَةِ ، صَوْتٌ مِنْ

أَجْمَلِ الْأَصْوَاتِ يُغْنِي وَيُغَرِّدُ ...
كَانَ ذَلِكَ الصَّوْتُ صَوْتُ الْبُلْبُلِ
الْحَيِّ الَّذِي عَرَفْنَاهُ ، فَقَدْ وَقَفَ
فَوْقَ شَجَرَةٍ قُرْبَ النَّافِذَةِ ،
وَأَنْدَفَعَ فِي الْغِنَاءِ .

وَكَانَ هَذَا الْبُلْبُلُ الْحَيُّ ،
قَدْ عَلِمَ بِمَرَضِ الْمَلِكِ ، فَجَاءَ



إِلَيْهِ يُوَاسِيهِ بِأَنْغَامِهِ ، وَيَبْعَثُ فِي نَفْسِهِ الْأَمَلَ بِالشِّفَاءِ .

وَلَمْ يَكِدِ الْمَلِكُ يَسْمَعُ ذَلِكَ النَّغَمَ السَّاحِرَ ، وَالصَّوْتَ الْجَمِيلَ حَتَّى
غَابَتْ عَنْ أَنْظَارِهِ شَيْئًا فَشِئًا ، تِلْكَ الْوُجُوهُ الْغَرِيبَةُ الَّتِي كَانَ يَلْمَحُهَا
مِنْ ثَنَائِيَا أُسْتَارِ سَرِيرِهِ ، وَحَتَّى عَادَ الدَّمُ يَجْرِي فِي عُرُوقِهِ ، فَاضْطَرَبَ
الْمَوْتُ عِنْدَ سَمَاعِهِ ذَلِكَ الصَّوْتَ الْفَاتِنَ وَقَالَ يُخَاطِبُ الْبُلْبُلَ الْحَيَّ :
- « اِسْتَمِرَّ فِي الْغِنَاءِ أَيُّهَا الْبُلْبُلُ ... اِسْتَمِرَّ ... »

فَقَالَ الْبُلْبُلُ :

- « نَعَمْ سَأَسْتَمِرُّ إِذَا أُعْطِيتَنِي تاجَ الْمَلِكِ ، وَسَيْفَهُ الذَّهَبِيِّ ،
وَرَأَيْتَهُ الْحَرِيرِيَّةَ . »

فَقَدَّمَ الْمَوْتُ لِلْبُلْبُلِ تِلْكَ الْكُنُوزَ ، فِي سَبِيلِ أُغْنِيَةِ
يَسْمَعُهَا مِنْهُ ، فَوَفَّى الْبُلْبُلُ بِالْوَعْدِ ، وَأَسْتَمَرَ يُغَنِّي ...
غَنَّى الْبُلْبُلُ لَحْنَ الْمَدَافِنِ وَالْقُبُورِ ، حَيْثُ يَسُودُ الصَّمْتُ ، وَتُخَيِّمُ
السَّكِينَةُ ، وَتَتَفَتَحُ الْأَزْهَارُ ، وَيَنْمُو الْعُشْبُ تَسْقِيهِ دُمُوعُ الْأَحْيَاءِ ...

فَاسْتَوَلْتُ عَلَى الْمَوْتِ عِنْدَئِذٍ الرَّغْبَةُ فِي الْعَوْدَةِ إِلَى بُسْتَانِهِ
فَتَوَارَى عَنِ الْأَبْصَارِ، كَمَا تَوَارَى وَتَضَمَّحِلُ السَّحَابَةُ الرَّقِيقَةَ
الْبَارِدَةَ... فَقَالَ الْمَلِكُ لِلْبُلْبُلِ الْحَيِّ :

- «شُكْرًا لَكَ أَيُّهَا الْعُصْفُورُ السَّمَائِيُّ!... إِنِّي لَأَعْرِفُكَ
حَقَّ الْمَعْرِفَةِ... أَنْتَ الْبُلْبُلُ الَّذِي نَفَيْتُهُ مِنْ مَمْلَكَتِي،
فَجِئْتَ مَعَ ذَلِكَ تَدْفَعُ الْمَوْتَ عَنِّي، وَتَطْرُدُ الْأَشْبَاحَ الْغَرِيبَةَ
الْجَائِمَةَ حَوْلَ سَتَائِرِي، فَبِمَاذَا أَكْفَيْتُكَ وَأَجْزَيْتُكَ؟»
فَقَالَ الْبُلْبُلُ الْحَيُّ :

- «إِنَّكَ كُنْتَ جَزَيْتَنِي أَحْسَنَ الْجَزَاءِ أَيُّهَا الْمَلِكُ الْعَظِيمُ، فَمَا
أَنَا مَنْ يَنْسَى الدُّمُوعَ الَّتِي سَكَبَتْهَا عِنْدَمَا سَمِعْتَ غِنَائِي لِأَوَّلِ
مَرَّةٍ... إِنَّ تِلْكَ الدُّمُوعَ هِيَ كُنُوزٌ مِنَ الْفَرَحِ تَمَلَأُ قَلْبَ
الْمُغْنِيِّ، وَالْآنَ نَحْمُ أَيُّهَا الْمَلِكُ لِنَسْتَعِيدَ بِالنَّوْمِ صِحَّتَكَ وَنَشَاطَكَ،
وَسَوْفَ أَنْشِدُكَ بَعْضَ الْأَغَانِي الرَّقِيقَةِ حَتَّى تَنَامَ.»

وَعَرَدَ الْبُلْبُلُ فَنَامَ الْمَلِكُ نَوْمًا هَادِئًا هَانِئًا عَمِيقًا .
 وَلَمَّا اسْتَيْقَظَ الْمَلِكُ فِي الصَّبَاحِ مُمْتَلِئًا صِحَّةً وَقُوَّةً وَعَافِيَةً
 كَانَتْ أَشَعَّةُ الشَّمْسِ قَدْ مَلَأَتْ جَوَانِبَ غُرْفَتِهِ ، وَأَنْحَدَرَتْ
 إِلَيْهَا مِنَ النَّافِذَةِ الْمَفْتُوحَةِ . وَكَانَ الْبُلْبُلُ الْحَيُّ ، لَا يَزَالُ
 فِي مَكَانِهِ يُغْنِي لِلْمَلِكِ ، وَيُشْرَحُ صَدْرَهُ ، وَيُدْخِلُ عَلَى قَلْبِهِ
 الْبَهْجَةَ وَالسُّرُورَ . فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ :

- « أَقِمْ مِنْذُ الْيَوْمِ فِي قَصْرِي ، وَعَلَى مَقْرُبَةٍ مِنِّي ، تُغْنِيَنِي مَتَى
 شِئْتَ ، وَتَسْكُتُ مَتَى أَرَدْتَ ، وَلَا تَظُنَّ أَنَّي سَأُبْقِي عَلَى هَذَا
 الطَّائِرِ الصَّنَاعِيَّ ، فَسَوْفَ أُحْطِمُهُ وَأُقَطِّعُهُ أَلْفَ قِطْعَةٍ . »
 فَقَالَ الْبُلْبُلُ الْحَيُّ :

- « لَا ، لَا يَا مَوْلَايَ ، لَا تَفْعَلْ هَذَا . إِنَّ هَذَا الطَّائِرَ
 الْمَسْكِينَ ، قَدْ قَامَ بِمَا اسْتَطَاعَ ، فَاحْتَفِظْ بِهِ وَلَا تُحْطِمُهُ ...
 أَمَّا أَنَا يَا مَوْلَايَ ، فَيَصْغُبُ عَلَيَّ أَنْ أَعِيشَ فِي قَصْرِكَ ، فَاسْمَحْ لِي

أَنْ أَزُورَهُ كُلَّمَا هَزَّنِي الشَّوْقُ وَالْحَنِينُ إِلَيْهِ ، وَأَنْ أَقِفَ فَوْقَ
 هَذَا الْفُصْنِ قُرْبَ نَافِذَتِكَ ، وَأُسْمِعَكَ الْأَلْحَانَ الَّتِي تَسْرُّ خَاطِرَكَ ،
 وَتَبْعُثُكَ عَلَى التَّفْكِيرِ فِي الْحَسَنَاتِ . . . سَوْفَ أُغْنِيكَ أَغَانِي
 السُّعْدَاءِ ، وَصِيَحَاتِ التَّاعِسِينَ الْمُعَذِّبِينَ ، وَسَوْفَ أَنْشِدُكَ
 الْأَنَاشِيدَ الَّتِي تَجْلُو لَكَ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ ، لِتَعْرِفَ مَا يَجْرِي فِي
 الْخَفَاءِ مِنْ حَوْلِكَ . . . سَوْفَ أَتَنْقِلُ بَيْنَ مَأْوَى الصَّيَادِ وَكُوخِ
 الْفَلَاحِ ، وَمَسَاكِنِ الَّذِينَ يَعِيشُونَ بَعِيدِينَ مِنْكَ وَمِنْ بَلَاطِكَ ،
 وَأَكُونُ فِيهَا عَيْنَكَ وَأُذُنَكَ ، فَتَرَى وَتَسْمَعُ مَا يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ
 تَرَاهُ وَتَسْمَعَهُ مِنْ أَحْوَالِ رَعِيَّتِكَ . . . إِنِّي أَفْضِلُ قَلْبَكَ الرَّحِيمِ
 عَلَى تَاجِكَ الْبَرَّاقِ . . . سَوْفَ أَعُودُ إِلَيْكَ وَأُغْنِيكَ ، وَلَكِنْ لِي
 شَرْطًا وَاحِدًا أَرْجُو أَنْ تَعِدَنِي بِتَحْقِيقِهِ .

وَكَانَ الْمَلِكُ قَدْ نَهَضَ وَارْتَدَى مَلَابِسَهُ وَتَقَلَّدَ سَيْفَهُ
 الذَّهَبِيَّ فَقَالَ : « وَمَا ذَلِكَ الشَّرْطُ ؟ » . فَقَالَ الْبُلْبُلُ :



« لَا تُخْبِرُ أَحَدًا أَنَّ لَدَيْكَ طَائِرًا صَغِيرًا يَنْقُلُ إِلَيْكَ الْأَخْبَارَ
وَيُظْلِعُكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ . »

وَعَلَى الْأَثَرِ ، طَارَ الْبَلْبُلُ وَغَابَ وَرَاءَ الْأَشْجَارِ .
وَدَخَلَ عِنْدَئِذٍ الْخَدَمُ وَالْأَتْبَاعُ لِيَلْقُوا النَّظْرَةَ الْأَخِيرَةَ عَلَى
مَلِيكِهِمُ الْمُسْجَى عَلَى فِرَاشِ الْمَوْتِ فَلَا تَسْلُ عَنْ دَهْشَتِهِمْ
عِنْدَمَا رَأَوْا سَيِّدَهُمْ سَلِيمًا مُعَافًى ، وَسَمِعُوهُ يُحْيِيهِمْ قَائِلًا :
« صَبَاحَ الْخَيْرِ يَا أَصْحَابِي ... »



أسئلة في القصة

- ١ - من أى شىء بنيت حيطان قصر ملك الصين وسقوفه ؟
- ٢ - ماذا كان صياد السمك يقول عندما يسمع صوت البلبل ؟
- ٣ - ماذا قال ملك الصين عن الكتب عندما قرأ وصف البلبل ؟
- ٤ - أى قصاص تواعد به ملك الصين رجال حاشيته إذا لم يأتوه بالبلبل ؟
- ٥ - من أول من حدث كبير الأمراء عن البلبل وصوته الجميل ؟
- ٦ - سمع رجال الحاشية وهم يبحثون عن البلبل صوتين من أصوات الحيوان ظنوهما صوت البلبل فأى حيوانين سمعوا وماذا يقال لصوت كل منهما ؟
- ٧ - بماذا شبه كبير الأمراء صوت البلبل عندما سمعه لأول مرة ؟
- ٨ - ما الهدية التى أهداها الملك للبلبل بعد سماع غنائه ؟
- ٩ - كم عدد الخدم الذين ألحقهم الملك بخدمة البلبل ؟
- ١٠ - تسلم ملك الصين فى يوم من الأيام علبة بعث بها إليه أحد الملوك فمن كان ذلك الملك ؟ وعلى أى شىء كانت تحتوى تلك العلبة ؟
- ١١ - ماذا حدث للبلبل الصناعى عندما كان فى مساء أحد الأيام يغنى وحده للملك ؟
- ١٢ - من رأى الملك فى الليلة التى ظن أنها خاتمة حياته ؟
- ١٣ - أى مخلوق كان السبب فى شفاء الملك ؟
- ١٤ - أى شرط طلب البلبل من الملك تنفيذه ؟
- ١٥ - اكتب هذه القصة بأسلوبك وإنشائك .